دولة ميسان ٣٢٤ ق. م – ٢٢٥م
أحدى دول الخليج العربي القديمة

م. د. محسن مشكل فهد الحجاج
جامعة البصرة – مركز دراسات الخليج العربي

المقدمة:

لا شك أن البحث في تاريخ الدول والمدن القديمة يحتاج إلي جهد مضاعف لكونها أولاً موغلة بالقدم فضلاً عن شحة مصادرها وأن وجدت فهي بلغات أجنبية أخرى. وأن ما كتب عنها باللغة العربي فهو نزر يسير ومأخوذ من اللغات الأجنبية.

ومع ذلك فلا ينبغي علي المؤرخ ترك هذه المواضيع. ومن الواجب علينا عدم ترك آثارنا بيد المستشرقين والانسياق ورائهم.

والدولة موضوع البحث هي ميسان، ذكرت هذه الدولة في مصادر اليونان واليهود والفرس الاخمينيين مما يدل علي إيغالها بالقدم وأهميتها الإستراتيجية لكونها علي رأس الخليج العربي آنذاك مما جعلها مدينة تجارية أسالت لعاب الدول القوية (الإمبراطورية اليونانية والفرسية) استطاعت أن تصمد هذه الدولة لمدة ثلاث قرون تقريباً وتوسعت شرقاً في عيلام وشمالاً حتى بابل.

وفي الواقع أن هذه الدولة شملت العالم برقعتها الجغرافية الصغيرة وذلك من خلال وجود نقود مختلفة المناشئ علي أراضيها مما يدل علي انها سمحت بتداول نقود كل الدول بما يتلاءم وموقعها التجاري المهم.

تطرقنا بهذا البحث إلي تسميتها وموقعها وأوضاعها السياسية وعقيدة أهلها.

أن ندرة النصوص عن هذه الدولة واقتضابها بسبب اعتماد الباحثين في اغلب مصادرهم علي النقود المكتشفة في موقعها جنوب العراق المليئة باللقى والآثار تدعونا إلي اقتراح نرفعه إلي وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة السياحة والآثار يتبني تشكيل لجان مختصة بالآثار والتاريخ القديم للتنقيب الأمين عن الاثار ودراسته لكي نتحرر من استئثار المستشرقين لآثارنا.

التسمية:

لقد عرفت هذه الدولة لأول مرة بهذا الاسم (ميسان) من قبل سترابو في القرن الأول قبل الميلاد[١]. ووردت بالإغريقية بالصيغة MESANE، أما في الترجمة الآرامية للنص فقد جاءت بصيغة (ميشن) (MESUN). وتعدد أشكالها ففي السريانية بشكل ميشان (MASAN) وفي العبرية (MESUNE) وذكرت (ميسان) في مواضع عدة من التلمود البابلي، وورد اسم ميسان في نقش يوناني من مستوطنة بيت شعاريم[٢].

وفي الكتابات الآرامية القديمة جاءت التسمية بصيغة (   ) وقد ذكرها القائد الروماني الكبير pliny بأنها احتلت موقعاً جغرافياً مهماً علي رأس الخليج ولعبت دوراً متميزاً في النشاط التجاري ولهذا فإن اسمها يحمل مدلولاً جغرافياً[٣] أما الكتاب الكلاسيكيون للفترة المتأخرة أطلقوا عليها الاسم GHARAX خار اكس[٤]، وهي تسمية مشتقة من اسم عاصمة الدولة الكرخة التي تعني المدينة المحصنة أو المسوره[٥].

ومن دراسة النصوص اليونانية يتبين أن بليني وبطليموس قد أطلقا علي المنطقة التي تحيط (CHARAX) اسم (CHARCENE) وأن الاسم الأخير له دلالة سياسية رغم إن صيغة الاسم اشتقت من اسم (CHARAX) ويدل علي ولاء تلك الأراضي سياسياً لحاكم المدينة[٦]

ودل اسم ميسان في – الفترة المتأخرة – علي جنوب العراق بأكمله[٧] ويري صلاح حسن (أن المندائيين الذين عاشوا ألفي سنه في ميسان وحدها كانوا يكتبون اسم المدينة مجزأ هكذا – مي – وتعني بالمندائية الماء و – شان – وتعني القصي إشارة إلي وجودها في أقصى جنوب الرافدين) [٨].

ونحن لا نؤيد هذا الرأي لأن الذي يسكن في المنطقة لا يراها بعيدة أو قصية، وحسب تقسيمه للكلمة – مي – تعني الماء فأن كلمة – شأن – لا تعني البعيد – ولكن المرتفع – ويستخدم أهالي هذه المنطقة وإلي يومنا هذا كلمة (اشان) للتل أو المكان البارز وبالتالي تصبح – مي – وشان – المكان المحاط بالماء أي الجزيرة وإلي فترات متأخرة كانت منطقة جنوب العراق أو الاهوار تدعي بالجزائر.

أما الأستاذ كريم الحميداوي فإنه يري (أن كلمة ميسان تعني الأرض التي تكثر فيه الإعشاب والحشائش التي تتمايل مع الريح حيث قيل (تميس) أو تتمايل وقال آخرون ميسان تعني التبختر) [٩] ولا يعدو أن يكون هذا الرأي اجتهاداً ليس إلا ولكننا نرجح أن التسمية ذات مدلول جغرافي وتعني المكان المحاط بالماء وقد تعرض اسم هذه الدولة للتغيرات عديدة تبعاً للأوضاع السياسية التي عاشتها فحين اختار الاسكندر المقدوني هذا الموقع لينشئ عليه إحدى مستعمراته في ميسان في أيار عام ٣٢٤ ق. م أطلق عليه اسم الإسكندرية[١٠]، وبعد ان تعرضت للفيضان فإن حاكمها العربي (هسباوسنس) بني سورا حولها بمسافة ميلين تقريبا وبسبب هذه الاعاده سميت (CHARAX-PASINOUS) كرك اسباسيا أو مدينة اسباوسنس المحصنة وذلك بعد سنة ١٢٩ ق. م[١١]، وحين أعاد بناءها ثانية الملك السلوقي انطيوخوس الرابع اسماها (ANTIOCH-CHANAX) أو (Alexandri-Antioch) إنطاكيا أو إسكندرية انطوخيا سنة ١٦٦ ق. م[١٢]، أما في مصادرنا الإسلامية فأن هذا الاسم بقي مستعملا لفترة متأخرة فقد ذكرها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): أن ميسان كوره واسعة كثيرة القرى بين البصرة و واسط قصبتها ميسان وفي هذه الكوره ارض فيها قبر عزيز النبي عليه السلام. ولما فتحت ميسان في عهد الخليفة الثاني ولي عليها النعمان بن عدي وأمر النعمان أمراته علي الخروج إلي ميسان فأبت عليه فكتب إلي زوجته:

الأهـل أتي الحسـناء أن حليلهـا   بميسان يسقى في زجاج وحنتم[١٣]

الموقع:

تقع هذه الدولة علي رأس الخليج في جنوب بلاد الرافدين[١٤]ويري (التهايم) أن الاسكندر بناها سنة ٣٢٤ ق. م عند ملتقي نهر الكارون (eulaeos) بنهر دجله العوراء (شط العرب) واسماها الإسكندرية وقد بنيت علي مرتفع صناعي[١٥]

وذكرها البكري (٢٨٧هـ) باسم (خارك)، وقال إنها موضع في ساحل الخليج العربي[١٦]، أما (هانسمان) فيحدد موقع مدينة الكرخه بتلال تعرف محلياً باسم (جبل خيابر) تقع جنوب مدينة القرنه عند قرية (السويب) [١٧]

يقول (مُحَّد باقر الحسيني) لم يعرف بالتحديد جغرافياً موقع مملكة ميسان لاختلاف المراجع ولكن في الآونة الأخيرة أطلق علي جنوب العراق ميسان من باب التغليب إلا أن

(بلني) الذي عاش ما بين ٢٣ و٧٩م ذكر إنها تقع علي مرتفع صناعي من الأرض الكائنه بين حدها الشرقي نهر الكارون والشمالي عند افتراق دجله ونهر سيلاس عند افاميه[*] وأن مساحتها ثلاثة اميال وقد وصف أحد الصينيين ويدعي (كانفيك) عندما زارها في نهاية القرن الأول للميلاد وبالتحديد عام ١٠٧م بأنها كانت محاطة بالماء من كل مكان وتتصل بالنهر في الزاوية الشمالية الغربية ومحيطها(١٣) ميلاً وهي حاره تكثر فيها الأسود والجمال والنعام، وتبعد ميسان كما ذكرها الملك الموريتاني (جوبا الثاني) وهو مؤرخ أيضاً في بداية القرن الأول للميلاد (٥٠) ميلاً عن البحر إلا أن المؤرخ الكلاسيكي (دي كاسيوس) أشار إلي أن مملكة ميسان تشمل الجزيرة التي يؤلفها دجله والفرات والخليج العربي وأشارت الدراسات الحديثة إلي أن ميسان وخاراكس القديمة هي مدينة المحمرة الحالية[١٨].

ويعتقد (نودلمان) أن أهم مدن دولة ميسان هي العاصمة charax ويقال إنها مدينة المحمرة ومدينة forat التي تقع بحدود (١) ميل جنوب خاراكس وكذلك الأبله وهي المدينة الثالثة لميسان وكانت بمثابة فرضة لدولة ميسان[١٩].

من خلال عرضنا لأراء العلماء واختلاف المؤرخين حول الموقع الدقيق لميسان نلاحظ أن قسم منهم يري أنها تشمل جنوب بلاد الرافدين بأكمله وأنها علي ساحل الخليج العربي. والبعض يري أنها في القرنة أو جنوبها والبعض يضيف مدينة المحمرة أو أنها عاصمتها إلا أننا نري أن موقعها تعرض للتقلص عدة مرات تبعاً لقوتها وضعفها أو تبعاً للظروف السياسية للدول الكبرى المحيطة بها كاليونانية والرومانية من جهة والدولة الفرسية من جهة أخرى. ومن خلال تحديد المدن التابعة لدولة ميسان يدعونا للقول أن حدودها تشمل كل جنوب العراق من ساحل البحر جنوباً وتشمل أيضاً المحمرة ولكن تقلصت مساحتها بالفترات الأخيرة لعمر هذه الدولة.

الأوضاع السياسية

لقد لعب الموقع الجغرافي للخليج العربي دوراً كبيراً منذ عصوره التاريخية القديمة. فإلي جانب كون الخليج العربي حلقة اتصال مباشر بين الشرق الأقصى (الهند والصين وجزر الهند الشرقية) وبين دول العالم العربي (العراق والشام وشبه الجزيرة العربية ومصر) كان كذلك حلقة اتصال غير مباشر بين الشرق الأقصى وشرق إفريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط وبعض مدن جنوب أوربا[٢٠].

ويبدأ طريق الخليج الشمالي من مصب دجلة والفرات وكانت دجلة في الألف الثالث وما قبله قبل الميلاد تصب وحدها في الخليج كما يصب الفرات وحده رأساً دون أن يلتقي النهران كما هما يلتقيان اليوم في القرنة. والخليج اليوم اقصر طولاً مما كان في العهود القديمة في أيام السومريين وما قبلهم لأن دجله والفرات قد غمرا بما يحملان من الغرين والترسبات ما يقرب من ٢٦٠أو ٢٨٠ كليو متراً من شاطيئهما[٢١]

يقول (هيرودتس) نحو ٤٨٤ ق. م بأن الفينيقيين علي أيامه كانوا يدعون بأن أجدادهم سكنوا سواحل الخليج العربي قبل نزوحهم إلي ساحل البحر المتوسط[٢٢]

وأطلق هيرودتس علي الخليج العربي اسم (البحر الأحمر) وقد شاع استخدام هذه التسمية في بعض المصادر الكلاسيكية لتشمل الخليج العربي والبحر العربي والبحر الأحمر[٢٣].

واحتلت منطقة الخليج جزءاً كبيراً من اهتمام الاسكندر المقدوني وخططه لاستكشاف الطرق البحرية التي تربط بين أطراف إمبراطوريته التي بلغ امتدادها قبل وفاته في بابل عام ٣٢٣ ق. م من بلاد اليونان غرباً وإلي السند شرقاً[٢٤].

ولقد كان العراق هدفاً مهماً له وكعادته مع المدن التي يسيطر عليها في إقامة الموانئ البحرية فإنه أنشاء ميناء كبيراً في جنوب العراق ضمن دولة تسمي ميسان.

تؤكد الدراسات الحديثة التي بدأت علي أيدي المستشرقين في أوائل القرن التاسع عشر وبالتحديد في عامي ١٨١١ و١٨١٨م أعطت مؤشراً لدولة ميسان المندثرة في العصور القديمة ومخططاً واسعاً لتاريخها ودورها الرئيسي الذي لعبته في منطقة الخليج العربي خاصة وأن الظروف الجغرافية والاقتصادية والسياسية قد صبرتها مركزاً تجارياً رئيساً ووسطاً بين عالم البحر

المتوسط والشرق الأقصى وأصبحت من الدول التي خلفت دولة السلوقين [**] اثر انحلالها وقد حكمها (١٩) أو (٢٣) حاكماً ما يقرب ثلاثة قرون ونصف وبالتحديد ما بين ١٢٩ قبل الميلاد و٢٢٥ ميلاديه فدورها بأي وجه من الوجوه يفوق من حيث الأهمية لرقعتها الإقليمية في بلاد ما بين النهرين[٢٥].

أن ثروة الشرق وما تدر تجارتها من أموال طائلة دفعت الاسكندر الأكبر علي التوجه إلي الشرق الأدني القديم. وكان غزو هذا القائد للشرق بعد معركة (أسوس) ٣٣٣ ق. م التي انتصر فيها الاسكندر علي داريوس فتح باب الشرق أما الملك المقدوني وأمام الحضارة اليونانية التي اختلطت بعناصر شرقية وأطلق عليها (الحضارة الهلنستية) ومن أجل السيطرة علي التجارة قام الاسكندر بما يلي:-

أولاً: بناء المدن التي أطلق عليها اسمه ومنها الإسكندرية في مصر، فقد كان بناءها لأسباب اقتصادية وعسكرية وبحرية وكذلك ميسان فقد اسماها بادئ الأمر بهذا الاسم.

ثانياً: أرسل بعثات استكشافية من أجل السيطرة علي التجارة ومعرفة المسالك التجارية المهمة، لهذا فأنه فقام بتحسين الملاحة في نهر الفرات وحاول النهوض بميناء بابل[٢٦].

واهتم ببناء الموانئ علي المدن المطلة علي ساحل البحر الأحمر ومن هذه المدن هي مدينة ميسان والتي أصبحت فيما بعد دولة كبيرة لها تأثير ونفوذ عالمي، استمرت ثلاثة قرون من الزمن وبقي ذكرها في المصادر الإسلامية حتى فترات متأخرة كمدينة في جنوب العراق.

ولما قام الاسكندر الكبير بحملته الكبيرة علي العراق وإيران والهند عهد إلي قائده (نيرخس) nearchus بالتوغل بالخليج والتوجه منه إلي البحر العربي فالبحر الأحمر حيث خليج العقبة فحضر فيدخل بذلك جزيرة العرب في أملاكه[٢٧] وعهد إلي القائد (هيرون) متابعة السواحل ودراسة أحوال سكانها ومواضع المرافئ وأماكن المياه والمضايق ومواضع الشجر فيها وتقاليد العرب وعاداتهم وأحوالهم لتكون جيوشه علي بينة من أمرها ليقدم إليه تقرير يضع عليه تقديره في كيفية الاستيلاء علي جزيرة العرب فسار منفذاً أمر سيده[٢٨].

لهذا قام ببناء مدينة الإسكندرية (ميسان) سنة ٣٢٤ ق. م عند ملتقي نهر الكارون Eulaeos بنهر دجلة (شط العرب) الحالي وقد بنيت علي مرتفع صناعي، وكان قصد الاسكندر من بناءها إن تكون الميناء التجاري الرئيسي والمخزن المهم لتجارة الشرق لاسيما

أنه لمس عظمة التجارة التي كانت تمر عبر الخليج العربي بين الشرق والغرب وأهمية بعض المواد الأولية التي كانت من الهند، وربما كانت الدوافع التي حدت إلي تأسيسها عسكرية وبحرية لحماية عاصمته الشرقية بابل، إضافة إلي زيادة في الأمان أسكن فيها بعض جنوده المقدونيين وأسمي هؤلاء المنطقة التي سكنوها (بلايوس) Pellaeus علي اسم المدينة التي ولد فيها الاسكندر(٢٩).

يقول الدكتور (جواد علي) إن بعض هؤلاء استوطنوا هذه المناطق ثم استعربوا واندمجوا بالعرب كما اندمج غيرهم ممن نزل في مواضع أخرى من الساحل بسكان القوافل وصاروا منهم، فنسوا أصلهم وصاروا عرباً يشاركون العرب في أطوارهم ومن هنا نجد بين أهل الساحل عرباً يشبهون الأوربيين في الملامح(٣٠).

إما سكان ميسان الأصليين فقد أشارت المصادر إنهم من العرب منذ أيام الإمبراطورية الأشورية وهم من الآراميين نزحوا من الجزيرة العربية إلي بلاد الشام واستطون قسم منهم ضفاف الخابور والفرات بين دير الزور وطرابلس وقسم أخر استقر في شمال سوريا، كما توغل قسم منهم إلي بلاد سومر وأكد جنوب العراق واستطاعوا إن يكونوا دولة مستقلة في فترة الاحتلال الاخميني (***) وهذا يدل علي أن حكم الأخمينين كان اسمياً، ومن هنا نري أن الاسكندر عندما وصل إلي هذه المنطقة بحدود ٣٢٤ ق. م وجدها تابعة إلي حكم أمير عربي(٣١).

يقول الحسيني ومن خلال دراستنا للنقود أن ملوك ميسان كانوا غليضوا الأجسام ووجوههم رجولية وأنوفهم كبيرة وعيونهم واسعة وهذه الحالة تجرنا إلي طرح رأي المتخصصين بعلم الأجناس من أن هناك رابطاً أو تشابهاً إلي حد بين شعب ميسان وبين الصابئة الذين يعيشون في جنوب العراق حالياً لقرب الصفات بينهما(٣٢).

بعد وصل الاسكندر إلي هذه المنطقة أصبحت تابعة إلي الدولة السلوقية التي كانت تهتم بالتجارة مع الشرق. وكان لابد من الاهتمام بهذه الولاية وهذا واضح من تعيين الملك انطيوخوس الثالث (١٢٣–١٨٧ ق. م) موظفاً كبيراً لهذه الولاية(٣٣) وبعد أن تعرضت ميسان إلي فيضان كبير قام انطيوخوس الرابع ١٧٥–١٦٤ ق. م بإعادة بناءها وعين عليها

حاكماً قوياً هو (هسباوسنس) Hypasosins ١٢٩-١٠٩ ق. م ويعتبر هذا الشخص المؤسس الحقيقي لدولة ميسان وقد ذكر اسمه لأول مرة سنة ١٧٩ق.م[٣٤] .

يذكر (التهايم) أن جهود هسباوسنس في تأسيس دولة مستقلة في شرق الدولة السلوقية من الأمور التي لا تحتاج إلي سؤال غير أنه لا يوجد تاريخ مضبوط لهذا[٣٥]. غير ان الشيء الثابت أنه استطاع أن يؤسس مملكته مباشرة بعد وفاة انطيوخوس الرابع وبعد سقوط انطيوخوس السابع ١٣٨-١٣٩ أصبحت مدينة بابل ضمن حدود مملكة الحاكم العربي (هسباوسنس) [٣٦] إلا أن ألصالحي يري أنه أعلن استقلاله خلال الأعوام ١٣٩ ق. م إلي ١٤١ ق. م[٣٧].

لقد ظهر لهذا الملك أول نقد باسمه عام ١٢٤ ق. م وهي من الفضة نقش علي الوجه صورة الملك وهو حليق اللحية وعلي رأسه شعر قصير وعلي الظهر نقشت صورة (هراقلوس) جالساً علي كرسي. كما ظهرت لهذا الملك نقود أخرى في السنوات ١٢٢- ١٢٠ ق. م تشير إلي قوته وثروته واستقلاله النقدي. ونقود أخرى تؤكد انتصارته العسكرية واعماله الحربية التي حققها علي العيلاميين [****] في زمن قائدهم (بتيت) Pettet وانتصاراته علي بابل وسلوقية[٣٨] فضلاً عن ذلك فأنه بني اسطولاً حربياً قوياً استخدمه لحماية التجارة في الخليج العربي باعتباره مصدراً رئيسياً لواردات الدولة ومما لاشك فيه أن الغرض من بناء الأسطول القوي هو حماية الطريق المؤدي إلي الهند وجعله حراً مفتوحاً للملاحة[٣٩].

أما الملك (ابوداكس) ١٠٩-١٤ ق. م الذي خلف هسباوسنس فقد استمر علي نهج أبيه في تنشيط التجارة في الخليج العربي، فالنقود العائدة له نقشت عليها مقدمة سفينة حربية علي هيئة رأس كبش لإتلاف سفن العدو، وله نقود أخرى نقشت عليها صورته وهو حليق اللحية وعلي رأسه تاج. أما الجانب الأخر نقشت عليها صورة هرقلس جالساً علي كرسي وبيده اليمني العصا[٤٠].

واستبدل خليفته تيرايوس الأول ٩٠-٨٨ق. م نقش قفا نقوده بالإله حامية المدن ذات التاج المبرج وهي تمسك بيدها اليسري قرناً مملوءاً بالفاكهة دلالة علي الرفاه والخصب وفي اليد اليمني تظهر آلهة النصر تحمل اكليلاً تقدمه إلي الآلهة وقد أضاف إلي لقبه كلمة المحسن[٤١].

واهتم هذا الملك ايضاً بالتجارة وتأمين الطرق التجارية بين الخليج العربي والغرب، كذلك قام بشق نهر يصل نهر الكرخة بشط العرب وجعلهم صالحين للملاحة وسمي هذا النهر (Tiari) [٤٢] وفي عهد خليفته تيرايوس (٧٨-٤٨ق. م) حدثت تغيرات سياسية في البلاط الفرسي إذ تنازعت الأسرة المالكة علي الحكم حتى اغتيل (افراهاط الثالث) عام ٥٨ق. م من قبل أولاده مترادس الثالث وورود الثالث الذي انشغل بحرب أهلية طاحنة ثم احتل مترادس الثالث مدن بابل وسلوقية وقد شكلت هذه الأحداث خطراً علي الطرق التجارية – البرية والبحرية[٤٣].

وفي عهد الملك اثامبيلوس الأول ١٧ق. م – ٨م الذي يدل اسمه علي تعظيم الآله بعل مما يشير إلي كونه عربياً علي الرغم من استمراره بنقش هرقل الجالس[٤٤].

أما في عهد الملك اثامبيلوس الثاني سك نقوداً بحروف آرامية ووجدت نقوداً تعود لفترة حكمه ولكنها من مناشئ مختلفة وهذا يدل علي أن ميسان أصبحت في عهده مركزاً تجارياً دولياً وفيها يتم تداول جميع العملات. وفي عهد هذا الملك أيضاً حدث أول اتصال مباشر بين ملك ميسان والرومان في حدود عام (١ق. م) و(٤م) عندما اختير (كايوس قيصر) حفيد أغسطس لرئاسة بعثة خاصة لتنظيم علاقات روما بالشرق، ويذكر (بلني) أن الرومان حافظوا علي علاقات سياسية واقتصادية مع دولة ميسان لأنها كانت المسيطرة علي طرق التجارة التي تزود الأسواق الغربية بالبضائع الهندية والعربية[٤٥].

وعاشت ميسان فترة أخرى من الانتعاش في عهد ملكها (اثامبيلوس الثالث) الذي ضرب نقوداً خلال السنوات ٥٤-٧٣م وعاصر نيرون حاكم روما الذي تهافت علي استعمال العطور والبخور الشرقية، ونافست التجارة الميسانية تجارة تدمر والأنباط [*****] وفي عهده جرت اتصالات دبلوماسية مع روما من خلال هيئات دبلوماسية عربية ميسانية في روما كما ذكر (بلني) [٤٦].

وفي نهاية القرن الأول للميلاد زار ميسان مبعوث الزعيم الصيني (بان جاو) واسم المبعوث هو (كاف نيك) من سلالة هان الصينية ووصل إلي ميسان بحدود ٩٧م وذلك للاتصال بالإمبراطورية الرومانية، وقد وصف ميسان بقوله أنها كانت عالية مبنية علي مرتفع ومحاطة بالماء من كل جوانبها تقريباً عدا الزاوية الشمالية الغربية ويبلغ محيطها ١٣ ميلاً[٤٧].

وتحسنت علاقة ميسان مع الدولة الفرسية في عهد حاكمها (مانشو) إذ نجده في سنة ١٠١م يستورد البضائع عن طريق ميسان وفي عام ١١٤م أعلن تراجان إمبراطور روما حرباً شاملة ضد الفرسيين فاستطاع عام ١١٦م أن يحقق المع انتصاراته بسيطرته علي طيسفون (******) وتابع رحلته إلي الجوب عن طريق دجلة متجهاً نحو ميسان التي كان يحكمها (اثامبيلوس الخامس) وتصف المصادر الكلاسيكية رحلته النهرية واستقباله في افاميا الواقعة علي الحدود الشمالية للمملكة(٤٩).

تعرضت ميسان لعداء الفرسيين وخصوصاً من قبل ملكها خسرو بسبب استقبالها للملك الروماني تراجان واستمر هذا العداء حتى بعد تغير ملك ميسان وتنصيب ملكاً جديداً وهو (مترادتس) (٥٠) إلا أن تجارة ميسان استمرت بنشاطها، إذ تشير الكتابات التدمرية بأن التجار التدمريون قادوا قوافل تجارية ونقلوا البضائع الهندية إلي موانئ ميسان لتصديرها إلي أوربا، وقد استخدم التجار جزيرة (خرج) (*******) في الخليج العربي كمحطة للسفن القادمة من الكرخة إلي الهند وبالعكس(٥١).

واستمرت تجارة ميسان في عهد ملوكها ميرادتس ١٣١م و(اورابس الثاني) و(عبد نركال الثاني) و(اثامبيلوس السادس ١٨٠–١٩٥م). إلا أن العالم القديم شهد تغيرات ومنعطفات مهمة تركت اثراً بالغاً في موازين القوي منها ضعف الدولة الفرثية وسيطرة الرومان علي طيسفون ١٩٧–٢٠٠م إلا أنه في عام ٢٢١م تمرد وإلي الفرثيين علي فارس المدعو (أردشير) واستطاع السيطرة علي عيلام ثم تحرك صوب ميسان واستولي علي الكرخة والفرات وأنهي حكم سلالة هسباوسنس بقتل عبد نركال الثالث عام ٢٢٢م، فأطلق الساسانييون اسم استراباد اردشير علي مدينة الكرخة وبهمان اردشير علي فرات(٥٢).

وانتهت دولة ميسان فعلياً سنة ٢٢٥م(٥٣) وأن خر ملك حكمها كما يذكره الطبري (٣١٠هـ) هو (بندو) (٥٤) وفي الواقع أنه محرف من (بيانكا) الذي هو ابيتر كايوس الثالث(٥٥).

السياسة العامة والصلات الدبلوماسية

يعتقد البعض أن سياسة دولة ميسان كانت الموازنة بين القوي الكبرى(٥٦). وهذا نابع من مكانتها الاقتصادية والساسية، فقد كان لها صلات دبلوماسية مع الرومان من

خلال بعثة كايوس قيصر إلي ميسان. وكذلك استقبال الملك الميساني لإمبراطور روما تراجان. هذا يدل علي احترام التقاليد العالمية بين الحكام، وكذلك وجود هيئات دبلوماسية ميسانية في روما[٥٧].

وكذلك جاءت وفود صينية إلي ميسان سنة ٩٧م في عهد إمبراطور الصين (HO) وهذا يشير إلي أهميتها في دول المشرق والمغرب[٥٨].

ولها علاقات جيدة مع تدمر ومما يدل علي ذلك امتلاك التدمريين لحوض بناء السفن في ميسان[٥٩].

وقد سمحت هذه الدولة بتداول النقود للبلدان الأخرى وبصوره حرة مما يتلاءم مع مركزها التجاري الدولي[٦٠].

إلا إننا لا نري أنها ذات سياسة متوازنة مع كل القوي وإنها حسب استقراءنا للإحداث وبصورة عامة تميل للدولة اليونانية ومن ثم الرومانية وهذا واضح في الرسومات المنقوشة علي النقود والاستقبال الكبير الذي أقامه ملكها لإمبراطور روما مما أغاظ الدولة الفرثية وأن أغلب صبغتها يونانية ربما لأن الدولة اليونانية والرومانية كانت هي الأقوى في المنطقة. أما ما يحدث أحياناً من تحسن علاقتها بالفرثيين وذلك لأن الدولة الفرثية ترغب بتأمين تجارتها عن طريق ميسان من قبل الدولة الساسانية. إلا أن البكر يري أن من أسباب سقوط دولة ميسان هو انتقال قسم كبير من تجارة الخليج العربي إلي البحر الأحمر وذلك بعد قيام الدولة البيزنطية[٦١] [*******].

أما هدف الدولة السلوقية من ميسان بعد استقرار الجنود المقدونيين بها هو للحفاظ علي نشاطها التجاري لذلك هجم انطيوخوس الرابع علي ميناء جرها وهرمز في الخليج العربي لكي لا ينافس ميناء ميسان وأراد أن يمسك بزمام تجارتها لذا أعاد بناء الاسكندرية وأسماها (إنطاكيا) سنة ١٦٦ق. م[٦٢]، ويقول نودلمان أن الرخاء السلوقي يدل علي الاتصال الدائم بين مدينة خاراكس والخليج العربي[٦٣].

الديانة:

الظاهر أن أهل ميسان تأثروا عقائدياً بحضارة وادي الرافدين القديمة فقد عبدوا الإله نرجول (أله العالم السفي) في العصر السومري. ويبدوا أن هرقل اهه في معتقدات الإغريق قد

عبدته في ميسان الجالية الإغريقية. أما الكسان العرب عرفوه بالإله ونقشوا صورته علي نقودهم وأقاموا له التماثيل(٦٤).

وقد عرفت ميسان الديانة اليهودية منذ القرون الثلاثة قبل الميلاد حيث تشير المصادر اليهودية. لاستقرار جالية يهودية في مملكة ميسان وبالذات في مدينة افامية التي تعد المقر الرئيسي ليهود ميسان وكذلك في مدينة (بيرات دي ميشان). أما العلاقة بين يهود ميسان ويهود بابل فقد كانت غير طيبة وكان التزاوج بين الطائفتين محرماً وقد اشتهر في كراكس ميسان تاجر يهودي يدعي (حنينه) كان يقوم بالدعوة إلي اليهودية بهذه المدينة(٦٥).

وكذلك عبد أهل ميسان ألهه عربية مثل الإله بعل الذي كان له مكانة سامية عند عرب هذه الدولة وكذلك انتشرت فيها الديانة المسيحية وأصبحت لها مطرانية في دولة ميسان(٦٦).

أن هذه التعددية في الباديان لهذه المدينة تشير إلي كونها دولة عالمية منفتحة علي العالم بفعل تجارتها وعلاقتها الطيبة بالدول الأخرى، كذلك تشير إلي التعايش السلمي بين الأديان وتقبل الرأي الأخر في جنوب العراق.

الخاتمة

١- أن المواقع الجغرافي للعراق جعله يلعب دوراً مهماً في حضارات العالم القديم فظهرت في أرضه دول عديدة، وما أن تخبوا دولة تظهر دولة أخرى منذ سومر وأكد وبابل وأشور ثم ميسان في ٣٢٤ق. م.

٢- عرفت ميسان لأول مرة بهذا الاسم في القرن الأول قبل الميلاد من قبل سترابو، وقد وردت بأشكال مختلفة مثل ميسين وميشان. ولا نعتقد سبب التسمية بأنها المكان البعيد والقصي ولكن نري أن التسمية جاءت من مقطعين (مي وشان) وتعني المدينة المحاطة بالماء، وبقيت التسمية لفترة متأخرة من العصور الإسلامية حتى عهد ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

٣- اتفق الباحثون علي أن ميسان تقع في جنوب العراق وذلك خلال النقود المكتشفة فيها إلا إنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً في تحديد موقعها الدقيق ومساحتها، وأن سبب هذا الاختلاف يعود إلي الأوضاع السياسية التي تمر بها هذه الدولة، وما ينعكس عليها من صراع دولي بين اليونان والدولة الفرثية أو الرومان والدولة الساسانية، وأن أهم مدن ميسان هي الكرخة وفرات والابلة والأخيرة هي فرضه ميسان.

٤- قام ببناء مدينة ميسان الاسكندر المقدوني عام ٣٢٤ق. م بعد غزوة للشرق علي مرتفع صناعي لأسباب تجارية وعسكرية واستوطن فيه بعض جنوده المقدونيين، أما سكانها الأصليون فيهم من العرب منذ أيام الإمبراطورية الأشورية وهم من الآراميين.

٥- يعتبر الملك العربي هسباوسنس المؤسس الحقيقي لدولة ميسان (١٢٩ق.م-١٠٩ق.م) الذي عينه عليها انطيوخوس الرابع (١٧٥-١٦٤ق.م) حيث استطاع هسباوسنس من تأسيس دولة مستقلة في شرق الدولة السلوقية حيث ضم إليها كل من بلاد عيلام ويابل.

٦- حاول ملوك ميسان الحفاظ علي علاقات الدولة التجارية مع دول العالم حيث زارها مبعوث الزعم الصيني (بان جاو) سنة ٩٧م وكذلك زارها إمبراطور روما (تراجان) عام ١١٦م بعد انتصاره علي الفرثيين وهذا يشير إلي أهميتها في دول العالم.

٧- أن الصراع الدولي آنذاك علي مناطق النفوذ ادخل ميسان في أوج هذا الصراع. فقاد الملك الساساني اردشير حرباً شرسة نحو نفوذ الرومان في الشرق فسيطر علي دولة ميسان وانتهت هذه الدولة فعلياً عام ٢٢٥م.

٨- بما أن دولة ميسان دولة تجارية بالدرجة الأساس وكانت دولة منفتحة علي العالم حيث ضمت أرضها أجناسا مختلفة ولهذا اختلفت عقائدها فقد عبد فيها الإله هرقل والإله نرجول (إله العالم السفلي) عند السومريين، وكذلك انتشرت فيها اليهودية والنصرانية وهذا يشير إلي التعايش السلمي في جنوب العراق في تلك العصور.

الهوامش

١- البكر دولة ميسان. ص٢٠.

٢- صراي، أحمد مُحَّد، اليهود والخليج العربي، ص٢٥.

٣- الصالحى، واثق، نشوء وتطور مملكة ميسان، ص٥.

٤- البكر، الجذور التاريخية، ص٤.

٥- الصالحي، واثق، نشوء نشوء وتطور مملكة ميسان، ص٦.

٦- البكر، دولة ميسان، ص٢٠.

٧- الصالحي، واثق: نشوء وتطور، ص٦.

٨- حسن ، صلاح: سحر بابل (قراءة في كتاب أصول الصابئة) WWW.hings.com

٩- الحميداوي. كريم: تاريخ محافظة ميسان FriendsofMayssannetwork موقع خاص بالانترنت لرابطي اعلاميي ميسان demo crazy.net.

١٠- الصالحي: نشوء، ص٦.

١١- البكر: دولة ميسان، ص٢٠.

١٢- الصالحي: نشوء، ص٧.

١٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٣.

١٤- صراي، أحمد مُحَّد: اليهود والخليج العربي، ص٢٦.

١٥- البكر: دولة ميسان، ص١٩.

١٦- البكري: معجم ما استعجم، مج٢، ص٤٨٣.

١٧- نقلا عن الصالحي: نشوء وتطور، ص٦.

* افامية: وجدت في المعاجم العربية بأسم (فامية) وهي قرية من قري واسط بناحية الصلح. وقيل أنها تأسست أيام انطيوخوس الأول (٢٩٤-٢٦١ق.م) وهي واقعة علي الضفه الشرقية لنهر دجله بالقرب من كوت العماره حاليا.ياقوت: معجم، مج٤، ص٢٣٣ صراي مُحَّد أحمد يهود الخليج العربي، ص٦٠، هامش١١٩.

١٨- نقلا عن الحسيني، مُحَّد باقر: نفوذ مملكة نيسان، ص٢٩.

١٩- نودلمان: ميسان، ص٤٦٠.
٢٠- الشامي، أحمد: العلاقات التجارية، ص٨٨.
٢١- الخليلي، جعفر: من هم أقدم سكان الساحل العربي، ص٢٦٣.
٢٢- نقلا عن الهاشمي، رضا: النشاط التجاري، ص٥٧.
٢٣- المصدر السابق، ص٥٧.
٢٤- الهاشمي، النشاط التجاري، ص٥٨.

(**)- دولة السلوقيين: قامت هذه الدولة في الشام والعراق وإيران بعد وفاة الاسكندر الأكبر واستقر الحكم في هذه الدول لسلوقس نيكاتور خليفة الاسكندر فيها. البكر، منذر، العرب والتجارة الدولية، ص٧٢.

٢٥- الحسيني: نقود مملكة ميسان، ص٣٠.
٢٦- البكر: العرب والتجارة الدولية ص٧٠-٧١.
٢٧- علي، جواد: الخليج عند اليونان، ص٢٤.
٢٨- البكر: المصدر نفسه.
٢٩- البكر، منذر، المجذور التاريخية، ص٢.
٣٠- علي، جواد: الخليج عند اليونان، ص٢٦.

(***)- الاخمينيين: نسبة إلي رجل يدعي (اخمينس) ملك قبائل فارس في بداية القرن السابع ق.م سميت دولته الاخمينيه واتي استمرت من ٨٥٠ق.م حتى ٣٣١ق.م وسقطت علي يد الفرس، باقر طه وآخرون: تاريخ إيران القديم، ص٤٧.

٣١- الحسيني، مُحَمَّد: نقود، ص٣٢.
٣٢- المصدر نفسه.
٣٣- البكر: دولة ميسان، ص٢٢.
٣٤- المصدر نفسه.
٣٥- البكر: الجذور، ص١١.
٣٦- المصدر نفسه.

٣٧- الصالحي: نشوء، ص٧.

(****) العيلاميون: ربما يكون أصلهم من المنطقة الجبلية في جبال زاجروس. وبلاد عيلام في السهول الجنوبية والجنوبية الشرقية لإيران وعاصمته القديمة (سوسة). باقي تاريخ إيران، ص٢٥

٣٨- الحسيني: نقود، ص٣١.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- المصدر نفسه.

٤١- الصالحي: نشوء، ص٩.

٤٢- البكر: الجذور، ص١٢.

٤٣- الصالحي، نشوء، ص١٠.

٤٤- المصدر نفسه.

٤٥- المصدر نفسه.

(*****): تدمر والأنباط: نشأت تدمر في بادية الشام حول نبع غزيرة المياه. وأن مدينة تدمر كانت قد وجدت قبل أكثر من ألف سنة قبل الميلاد إلا إنها برزت كمدينة هامة في سوريا في القرن الرابع ق.م، الملاح، هاشم، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٦٩-١٧٠. أما الأنباط قامت دولتهم في المنطقة التي تمتد فيها الأردن وظهروا علي مسرح التاريخ نحو عام (٥٠٠ق.م) والعصر الذهبي لها كان في عهد ملكها الحارث الرابع (٩ق.م-٤٠ق.م) وسقطت علي يد الرومان عام ١٠٦م، البكر المنذر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٣٦٥ و٣٧٣.

٤٦- الصالحي، نشوء، ص١٢.

٤٧- المصدر نفسه.

٤٨- البكر، منذر، الجذور التاريخية، ص١٤.

(******) طيسفون: قرية كبيرة في شرق دجلة مقابل النعمانية بين بغداد و واسط وفيها اثار خراب قديم، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٥.

٤٩- الصالحي، نشوء، ص١٤.

٥٠- المصدر نفسه.

(*******) جزيرة خرج: من جزر الخليج في الجانب الإيراني تبعد عن ميناء بوشهر الإيراني مسافة ٣٤ ميلاً غرباً وتبعد عن ميناء الفاو العراقي ٢٥٠كم، النجار، مصطفي، جزيرة خرج، ص١٥٠.

٥١- الصالحي، نشوء، ص١٥.

٥٢- المصدر السابق، ص١٦.

٥٣- البكر، الجذور التاريخية، ص١٥.

٥٤- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٩١.

٥٥- الصالحي، نشوء، ص١٦.

٥٦- البكر، الجذور التاريخية، ص١٦.

٥٧- ص١٢ و١٣ من البحث.

٥٨- البكر، دولة ميسان، ص٢٥.

٥٩- الحسيني، نقود، ص٣٣.

٦٠- المصدر نفسه.

٦١- البكر: الجذور، ص١٤.

(********): الدولة البيزنطية: بعد مجيء قسطنطين للحكم سنة ٣٠٦ اتخذ بيزنطة عاصمة للإمبراطورية الرومانية علي شواطئ البسفور عام ٣٣٠. لهذا سميت الدولة البيزنطية. فشر: تاريخ أوربا، ص١٠.

٦٢- البكر: العرب والتجارة، ص٨٦.

٦٣- نودلمان: ميسان، ص٤٣٧.

٦٤- الصالحي نشوء، ص١١.

٦٥- صراي، مُحَمَّد احمد: اليهود في الخليج العربي، ص٢٧.

٦٦- البكر: دولة ميسان، ص٢٧.

المصادر والمراجع

١- باقر، طه وآخرون: تاريخ إيران القديم، مطبوعات جامعة بغداد (بغداد/١٩٨٠)

٢- البكر، منذر: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة البصره (البصره/١٩٩٣)

:الجذور التاريخية لعروبة الاحواز (جامعة البصرة/١٩٨١)

العرب والتجارة الدولية، مجلة المربد، ع٤ (البصرة/١٩٧٠)

دولة ميسان، مجلة المورد، مج١٥، ع٣ (العراق/١٩٨٠)

٣- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: معجم ما استعجم، ط٣ (بيروت/١٤٣٠هـ)

٤- حسن، صلاح: سحر بابل (قراءة في اصول الصابئة علي موقع الانترنت) www.uirgalgate.com

٥- الحسيني، مُحَمَّد باقر: نقود مملكة ميسان، مجلة المورد مج١٥، عدد ٣ (العراق/١٩٨٦).

٦- الحميداوي، كريم: تاريخ محافظة ميسان، علي موقع الانترنت: Myssan.network pryeds of emocracy.net

٧- الخليلي، جعفر: من أهم اقدم سكان الساحل العربي، مجلة المؤرخ العربي، عدد ١٢ (بغداد/١٩٨٦).

٨- الشامي، أحمد: العلاقات التجارية بين دول الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، عدد١٢، بغداد/١٩٨٦.

٩- الصالحي، واثق: نشوء وتطور مملكة ميسان، مجلة المورد، مج١٥، عدد ٣ (العراق/١٩٨٦).

١٠- صراي، احمد مُحَمَّد: اليهود والخليج العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، حولية ٢١، جامعة الكويت ٢٠٠٠/٢٠٠١.

١١- الطبري مُحَمَّد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك. دار الكتب العلمية (بيروت/١٤٠٧هـ).

١٢- علي، جواد: الخليج عند اليونان واللاتين. مجلة المؤرخ العربي. عدد ١٢ (بغداد/١٩٨٠).

١٣- فشر. هـ. أ: تاريخ أوربا في العصور الوسطي ٢ق ٢، ١ ترجمة مُحَمَّد مصطفي زيارة، دار المعارف (مصر/١٩٥٧).

١٤- الملاح، هاشم: الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام. مطبعة جامعة الموصل (الموصل/١٩٩٤).

١٥- النجار، مصطفي وآخرون: جزيرة خارج الأمانة العامة للمراكز الخليجية/١٩٨٣.

١٦- نودلمان: ميسان: ترجمة فؤاد جميل. مجلة الأستاذ. مج١٢ (بغداد/١٩٦٤).

١٧- الهاشمي، رضا: النشاط التجاري القديم في الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، عدد١٢ (بغداد/١٩٨٦)

١٨- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان. دار الفكر العربي (بيروت/د. ت).